سورة الجن

مكية، وآياتها ٢٨ [نزلت بعد الأعراف]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

قرئ: أحى، وأصله وحى؛ يقال: أوحي إليه ووحي إليه، فقلبت الواو همزة، كما يقال: أعد وأزن ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ [المرسلات: ١١]، وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة؛ وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضًا كإشاح وسادة، وإعاء أخيه[١]، وقرأ ابن أبي عبلة «وحى» على الأصل ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ بالفتح، لأنه فاعل أوحى. وإنا سمعنا: بالكسر؛ لأنه مبتدأ محكي بعد القول، ثم تحمل عليهما البواقي. فما كان من الوحي فتح، وما كان من قول الجنّ كسر، وكلهن من قولهم إلا الثنتين الأخريين ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ [الجن: ١٨]، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ [الجن: ١٩]، ومن فتح كلهنّ فعطفًاعلى محل الجار والمجرور في آمنا به، كأنه قيل: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا، وأنه كان يقول سفيهنا، وكذلك البواقي[٢] ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقيل:

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليس كما ذكر بل في ذلك تفصيل، وذلك أن الواو المضمومة قد تكون أولاً أو حشوًا أو آخرًا ولكل منها أحكام، وفي بعض ذلك خلاف، وتفصيل مذكور في النحو قلت وقد تقدم القول في ذلك مشبعًا في أول هذا الموضوع ولله الحمد. ثم قال الشيخ بعد أن حكى عنه ما قدمته عن المازني. وهذا تكثير وتبجح وكان يذكر ذلك في سورة يوسف عند قوله: «وعاء أخيه». انتهى. الدر المصون.

(٢) قال السمين الحلبي: وفيه بعد في المعنى. لأنهم لم يخبروا أنهم آمنوا بأنهم لما سمعوا الهدى آمنوا به، ولم يخبروا أنهم آمنوا «أنه كان رجال» إما حكى الله عنهم. أنهم قالوا: ذلك مخبرين به عن أنفسهم لأصحابهم فالكسر أولى بذلك. وهذا الذي قاله غير لازم، فإن المعنى على ذلك صحيح، وقد سبق الزمخشري إلى هذا التخريج الفراء والزجاج إلا أن الفراء استشعر إشكالاً وانفصل عنه. فإنه قال: فتحت أن لوقوع الإيمان عليها، وأنت تجد الإيمان يحسن في بعض ما فتح دون بعض. =

كانوا من الشيصبان، وهم أكثر الجنّ عددًا وعامة جنود إبليس منهم ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا﴾ أي: قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم، كقوله: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٠]، ﴿عَجَبًا﴾ بديعًا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه، قائمة فيه دلائل الإعجاز. وعجب مصدر يوضع موضع العجيب. وفيه مبالغة: وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ يدعو إلى الصواب. وقيل: إلى التوحيد والإيمان. والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقرآن؛ ولما كان الإيمان به إيمانًا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك: قالوا: ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ أي: ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في طاعة الشيطان. ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل؛ لأنّ قوله: ﴿بِرَبِّنَا﴾ يفسره ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمته من قولك: جدّ فلان في عيني، أي: عظم. وفي حديث عمر رضي اللّه عنه: كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا. وروي: في أعيننا (١٦٦٣). أو ملكه وسلطانه أو غناه، استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت؛ لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته. أو لسلطانه وملكوته أو لغناه. وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾ بيان لذلك. وقرئ: جدّا ربنا، على التمييز. وجدّ ربنا، بالكسر، أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد، وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان: تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجنّ من تشبيه/ ٢/ ٢٣٨ب الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدًا، فاستعظموه ونزهوه عنه. سفيههم: إبليس لعنه الله أو غيره من مردة الجن. والشطط: مجاوزة الحدّ في الظلم وغيره. ومنه: أشط في السوم، إذا أبعد فيه، أي: يقول قولا هو في نفسه شطط؛ لفرط ما أشطّ فيه، وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله، وكان في ظننا أنّ أحدًا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق، فكنا نصدّقهم فيما أضافوا إليه

١٦٦٣ ـ قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: لم أره عن عمر بل هو عن أنس كما مضى في البقرة انتهى كلام الحافظ.

= فلا يمنع من إمضائهن على الفتح. فإنه يحسن فيه ما يوجب فتح أن نحو صدقنا وشهدنا كما قالت العرب [من الوافر]:

..... وَزَجَّجۡنَ ٱلۡحَوَاجِبَ وَٱلۡعُيُونَا

فنصب العيون لاتباعها الحواجب، وهي لا تزجج إنما تكحل. فأضمر لها التكحل انتهى. فأشار إلى شيء مما ذكره مكي، وأجاب عنه، وقال الزجاج: لكن وجهه أن يكون محمولاً، على معنى آمنا به. لأن معنى آمنا به صدقناه، وعلمناه فيكون المعنى صدقنا إنه تعالى جد ربنا. انتهى. الدر المصون.

من ذلك، حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم ﴿كَذِبًا﴾ قولاً كذبًا، أي: مكذوبًا فيه. أو نصب نصب المصدر لأنّ الكذب نوع من القول. ومن قرأ: أن لن تقوّل: وضع كذبًا موضع تقوّلا، ولم يجعله صفة؛ لأنّ التقوّل لا يكون إلا كذبًا.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

الرهق: غشيان المحارم. والمعنى: أنّ الإنس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرًا وكفرًا؛ وذلك أنّ الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد الجن وكبيرهم؛ فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سدنا الجن والإنس؛ فذلك رهقهم. أو فزاد الجن الإنس رهقًا بإغوائهم وإضلالهم لاستعاذتهم بهم ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ وأنّ الإنس ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ وهو من كلام الجن، يقوله بعضهم لبعض. وقيل الآيتان من جملة الوحي. والضمير في ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ للجنّ، والخطاب في ﴿ظَنَنتُمْ﴾ لكفار قريش.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾

اللمس: المس، فاستعير للطلب؛ لأن الماس طالب متعرف؛ قال [من الطويل]:

مَسَسْنَا مِنَ الآبَاءِ شَيْئًا وَكُلُّنَا ... إِلَى نَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعِ[1]

يقال: لمسه والتمسه وتلمسه «كطلبه وأطلبه وتطلبه» ونحوه: الجس. في قولهم؛ جسوه بأعينهم وتجسسوه. والمعنى: طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها. والحرس: اسم مفرد في معنى الحرّاس، كالخدم في معنى الخدّام؛ ولذلك وصف بشديد، ولو ذهب إلى معناه لقيل: شدادًا؛ ونحوه [من الرجز]:

---

(١) مسسنا من الآباء شيئًا فكلنا ... إلى نسب في قومه غير واضع
فلما بلغنا الأمهات وجدتم ... بني عمكم كانوا كرام المضاجع

ليزيد بن الحاكم الكلابي. ومسسنا: أي نلنا، فالمس مجاز مرسل، فكل منا ينتمي إلى نسب في قومه غير منخفض ويروى: إلى حسب، فاستوينا من جهة الآباء في التفاخر، فلما بلغنا فيه ذكر الأمهات وجدتم أقاربكم كرام المضاجع كناية عن الأزواج. أو عبر باسم المحل عن الحال فيه، وهن الأزواج مجازًا مرسلاً، وكرم النساء مذموم، لأنه كناية عن الخنا، كما يكنى ببخلهن عن العفة، فلسنا سواء في الأمهات.
ينظر اللسان (رجل)، والبحر (٨/ ٣٤٩)، والدر المصون: ٦/ ٣٩٢.

أَخْشَى رُجَيْلاً أَوْ رُكَيْبًا غَادِيًا[1]

لأنّ الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب. والرصد: مثل الحرس: اسم جمع للراصد، على معنى: ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب، ويمنعونهم من الاستماع. ويجوز أن يكون صفة للشهاب. بمعنى الراصد أو كقوله [من الوافر]:

.... وَمِعىً جِيَاعَا[2]

يعني يجد شهابًا راصدًا له ولأجله. فإن قلت: كأن الرجم لم يكن في الجاهلية، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، فذكر فائدتين[3] في خلق الكواكب: التزيين، ورجم الشياطين؟ قلت: قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله ﷺ وهو إحدى آياته، والصحيح أنه كان قبل المبعث؛ وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية. قال بشر بن أبي خازم [من الكامل]:

وَالْعِيرُ يُرْهِقُهَا الْحُبَارُ وَجَحْشُهَا ... يَنْقَضُّ خَلْفَهُمَا انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ[4]

---

(١) أخشى رجيلاً أو ركيبًا غاديًا ... والذئب أخشاه وكلبًا عاويا

الرجيل: تصغير رجل. والركيب: تصغير ركب. غاديًا: أي سائرًا في الغداة على العادة. يقول: أخاف لهرمي وضعفي الرجل الصغير والركب القليل. والذئب: نصب بمضمر، كالمذكور على الاشتغال. أي: وأخشى الذئب وكلبًا عطف عليه. أو نصب بمضمر، أي: وأخشى كلبًا عاويًا. والجملة معطوفة على جملة «أخشى رجيلاً» وقيد الكلب بكونه عاويًا، لئلا يتوهم كذبه في دعواه.

(٢) قوله: «ومعي جياعًا» في الصحاح المعي واحد الأمعاء والجياع جمع الجائع. وأول البيت:

كأن قتود رحلي حين ضمت ... حوالب غزرًا ومعي جياعا

والقتود: جمع قتد، وهو خشب الرحل. (ع)

البيت للقطامي، ينظر ديوانه ص ٤١، والأشباه والنظائر ٤/١٩٨ وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٢٩، ولسان العرب (غرز) (معي) وتاج العروس (غرز) (معا) والدر المصون ٦/٣٩٢.

(٣) قال محمود: «إن قلت كأن الرجم لم يكن في الجاهلية. وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ فذكر فائدتي الزينة والرجم... إلخ» قال أحمد: ومن عقائدهم أن الرشد والضلال جميعًا مرادان لله تعالى بقولهم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ ولقد أحسنوا الأدب في ذكر إرادة الشر محذوفة الفاعل، والمراد بالمريد: هو الله عز وجل، وإبرازهم لاسمه عند إرادة الخير والرشد، فجمعوا بين العقيدة الصحيحة والآداب المليحة.

(٤) والعير يرهقها الحبار وجحشها ... ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

فعلاهما سبط كأن ضبابه ... محبوب صادات دواجر تنضب

فتجاريا شأوًا بطيئًا مثله ... هيهات شأوهما وشأو التولب

لبشر بن أبي حازم. والعير: الحمار؛ يرهقها: يكلفها، أي: الأتان. والحبار ـ بضم المهملة، وقيل بفتحها ـ: الأثر من كل شيء؛ وبالمعجمة: الأرض اللينة. وروي: الغبار؛ والانقضاض: الإسراع؛ =

وقال أوس بن حجر [من الكامل]:

وَانْقَضَّ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ نَقْعٌ يَثُورُ تَخَالُهُ طُنُبَا[1]

وقال عوف بن الخرع [من الطويل]:

يَرُدُّ عَلَيْنَا الْعِيرَ مِنْ دُونِ إِلْفِهِ أَوِ الثَّوْرَ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ الدَّمُ[2]

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال، فلما بعث رسول الله ﷺ: كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة؛ حتى تنبه لها الإنس والجن، ومنع الاسترق أصلاً. وعن معمر: قلت للزهري: أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أرأيت قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ﴾ فقال: غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي ﷺ. وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما: بينا رسول الله ﷺ جالس في نفر من

= والسبط: الغبار الممتد؛ والضباب: ندى يغشى الأرض بالغدوات. والصاد: الديك الذي ينكت التراب فيثير غباره، ويطلق على القدر من النحاس ومن البرام، وعلى داء في الرأس يداوى بالكي بالنار. قيل: وعلى العلم، وفسر به هنا. والدواجر: النواشط، من دجر إذا نشط سرورًا؛ أو المظلمات. والليل الدجور والديجور: المظلم. وتنضب: اسم شجر دخانه أبيض، وعلم على قرية قريبة من مكة. والشأو: الطلق، يقال: شأى كسهى، إذا سبق غيره. والتولب: الجحش إذا مضى عليه سنة واحدة، يقول: إن حمار الوحش يكلف أتانه اقتفاء أثره عند الجري، وجحشها يسرع خلفها كإسراع شهاب الرجم، فارتفع فوقهما ممتد من الغبار، كأن ما أشبه الضباب منه غبار أثارته الديكة لأنها تحبه وكأنه مرتفع دخان ذلك الشجر أو مظلمه؛ لأنه يحجب الضوء وإن كان أبيض؛ فدواجر خبر بعد خبر. ويجوز أنه على حذف العاطف، فقد أجازه السيرافي وابن عصفور وابن مالك؛ ومنعه ابن جني والسهيلي، وخرجا ما يوهمه على بدل الإضراب؛ ويجوز ذلك هنا أيضًا، فشبه التيار بثلاثة أشياء، ثم قال: فتجاريا شوطًا طويلاً مثله؛ وإثبات البعد للمثل كناية عن إثباته للشأو. ويحتمل أن ضمير مثله للجحش، فهو بالنصب. ثم قال: بعد ما بين شوطهما وشوطه كأنه تأخر. ويحتمل أن المعنى: بعد كل من الشوطين وطال.

(١) لأوس بن حجر يصف فرسًا بشدة العدو والسرعة، كالكوكب الدري نسبة للدر لصفائه، أو مأخوذ من الدرء لدرئه الظلام، يتبعه: أي للفرس نقع، أي غبار ينتشر تظنه طنبًا بضمتين، وهو حبل الخيمة كما يتبع الدري شعاعه ممتدًا عند هويه، فقد شبه النقع بالطنب تصريحًا، وبشعاع الكوكب: ضمنًا.

ينظر ديوانه ص ٣، ولسان العرب (درأ)، وتهذيب اللغة ١٤/١٥٨، وتاج العروس (درأ).

(٢) لعوف بن الخرع، يصف فرسًا بشدة العدو في الصيد، وأنه يرد عليه الحمار الوحشي حال كونه. أي الحمار من دون إلفه أي بقربه أو يرده من دونه، أي من قربه، وإذا رده من جنب ألفه كان رده وهو وحده أهون عليه؛ لأنه إذا كان مع إلفه كان أشد فرارًا. ويجوز أن المعنى: حال كون الحمار بدون إلفه أي منفردًا لا إلف معه يوجب ارتباكه. أو يرد علينا الثور الوحشي حال كونه، أي الثور، كالدري. أو حال كون الفرس كالدري، أي: كالكوكب نسبة للدر لصفاء جوهره وإضاءته. أو من الدرء، أي: الدفع؛ لأنه يدرؤ الظلام حال كون الكوكب يتبعه عند سقوطه من السماء خط أحمر من ضوئه يشبه الدم، فالدم: استعارة مصرحة.

الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟ فقالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم (١٦٦٤). وفي قوله: ﴿مُلِئَتْ﴾ دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة، وكذلك قوله: ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس/ ٢/ ٢٣٩أ والشهب، والآن ملئت المقاعد كلها، وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله ﷺ واستمعوا قراءته.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

يقولون: لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاسترق، قلنا: ما هذا إلا لأمر أراده الله بأهل الأرض، ولا يخلو من أن يكون شرًا أو رشدًا، أي: خيرًا، من عذاب أو رحمة، أو من خذلان أو توفيق.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾

﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ منا الأبرار المتقون ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ومنا قوم دون ذلك، فحذف الموصوف، كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ الصافات: ١٦٤] وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا الطالحين ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ بيان للقسمة المذكورة، أي: كنا ذوي مذاهب مفترقة مختلفة. أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة. أو كنا في طرائق مختلفة، كقوله [من الكامل]:

. . . . . كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ[1]

١٦٦٤ ـ أخرجه مسلم (٤/ ١٧٥٠) كتاب السلام: باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان حديث (١٢٤/ ٢٢٢٩) والترمذي (٥/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) كتاب التفسير: باب ومن سورة سبأ حديث (٣٢٢٤) وأحمد (١/ ٢١٨) وأبو يعلى (٤/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧) رقم (٢٦٠٩) كلهم من طريق الأوزاعي عن الزهري عن علي بن حسين عن ابن عباس عن رجل من الأنصار به.

وأخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٢) كتاب التفسير: باب ومن سورة سبأ حديث (٣٢٢٤) وأحمد (١/ ٢١٨) من طريق معمر عن الزهري به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه مسلم من رواية الأوزاعي عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس أخبرني رجال من الأنصار وقال: بينما هم جلوس ـ فذكره مطولاً. ورواه الترمذي من رواية معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس قال: بينما فذكره ولم يقل أخبرني رجال. انتهى.

---

(١) تقدم.

أو كانت طرائقنا طرائق قددًا على حذف المضاف الذي هو الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه؛ والقدّة من قدّ، كالقطعة من قطع، ووصفت الطرائق بالقدد، لدلالتها على معنى التقطع والتفرّق.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿هَرَبًا﴾ حالان، أي: لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها، ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء. وقيل: لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمرًا، ولن نعجزه هربًا إن طلبنا. والظن بمعنى اليقين؛ وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم: منهم أخيار، وأشرار، ومقتصدون؛ وأنهم يعتقدون أنّ الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجى عنه مهرب.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾

﴿لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ هو سماعهم القرآن وإيمانهم به ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف، أي فهو غير خائف؛ ولأنّ الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء، ولولا ذاك لقيل: لا يخف. فإن قلت: أي فائدة: في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرًا له ووجوب إدخال الفاء، وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال: لا يخف؟ قلت: الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك، فكأنه قيل: فهو لا يخاف، فكان دالاً على تحقيق أنّ المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الأعمش: فلا يخف، على النهي ﴿بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ أي جزاء بخس ولا رهق، لأنه لم يبخس أحدًا حقًا ولا رهق ظلم أحد[1] فلا يخاف جزاءهما. وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام. «المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم» (١٦٦٥) ويجوز أن يراد:

١٦٦٥ ـ أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٩٨) كتاب الفتن باب حرمة دم المؤمن وماله حديث (٣٩٣٤) وأحمد (٦/ ٢٠، ٢١، ٢٢) وابن حبان (٢٥ ـ موارد) وابن منده في «الإيمان» (٣١٥) والبزار (١١٤٣ ـ كشف) وابن المبارك في «الزهد» رقم (٨٢٦) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ١٠٩) رقم (١٣١) كلهم من طريق أبي هانىء الخولاني عن عمرو بن مالك الجنبي عن فضالة بن عبيد به مرفوعًا.

وصححه ابن حبان والحاكم (١/ ١٠ ـ ١١) وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح رجاله ثقات والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٧١) مطولاً وقال: قلت: روى ابن ماجه «المؤمن من أمنه الناس والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب» فقط. رواه البزار والطبراني في الكبير =

---

(١) قوله: «ولا رهق ظلم أحد» في الصحاح: رهقه بالكسر يرهقه رهقًا، أي: غشيه. (ع)

فلا يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الأوفى، ولا أن ترهقه ذلة، من قوله عز وجل: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ الكافرون الجائرون عن طريق الحق. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: أنّ الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن

= باختصار ورجال البزار ثقات.

وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك ووائلة بن الأسقع.

ـ **حديث أبي هريرة:**

أخرجه الترمذي (٥/ ١٧) كتاب الإيمان باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده حديث (٢٦٢٧) والنسائي (٨/ ١٠٤ ـ ١٠٥) كتاب الإيمان وشرائعه: باب صفة المؤمن حديث (٤٩٩٥) وأحمد (٢/ ٣٧٩) والحاكم (١/ ١٠) وابن حبان (١٨٠) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٢) من حديثه بلفظ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

ـ **حديث أنس:**

أخرجه أحمد (٣/ ١٥٤) والبزار (١/ ١٩ ـ كشف) رقم (٢١) وابن حبان (٢٦ ـ موارد) والحاكم (١/ ١١) والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٣٠) كلهم من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد ويونس بن عبيد وحميد عن أنس به. وصححه الحاكم وابن حبان.

وسكت عنه الذهبي.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٧) وقال رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجاله رجال الصحيح إلا علي بن زيد وقد شاركه فيه حميد ويونس بن عبيد.

ـ **حديث وائلة بن الأسقع:**

أخرجه أبو يعلى (١٣/ ٤٧٦ ـ ٤٧٨) رقم (٧٤٩٢) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٧٨) رقم (١٩٣) كلاهما من طريق عبيد بن القاسم، ثنا العلاء بن ثعلبة عن أبي المليح الهذلي عن وائلة به.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩٤) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني وفيه عبيد بن القاسم وهو متروك.

وذكره ابن حجر في المطالب العالية (١/ ٤٠٤) رقم (١٣٥٧) وعزاه لأبي يعلى.

وقال الحافظ في «تخريج الكشاف»:

أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد بهذا. وأتم منه. وفي الباب عن أبي هريرة بلفظ «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» وأخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم. وعن أنس أخرجه ابن حبان والحاكم أيضًا. وعن أبي مالك الأشعري ووائلة بن الأسقع، أخرجهما الطبراني مطولاً. وأخرج حديث وائلة أبو يعلى. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه عبد بن حميد. انتهى.

ما قال، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل؛ فقال الحجاج: يا جهلة، إنه سماني ظالمًا مشركًا، وتلا لهم قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، وقد زعم من لا يرى للجن ثوابًا أنّ الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم؛ وكفى به وعدًا أن قال: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ فذكر سبب الثواب وموجبه، والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

أن مخففة من الثقيلة، وهو من جملة الموحى والمعنى: وأوحي إليّ أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى، أي: لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام، لأنعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم. وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها. وقرئ بهما، لأنه أصل المعاش وسعة الرزق ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خوّلوا منه. ويجوز أن يكون معناه: وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم، لنفتنهم فيه: لتكون النعمة سببًا في اتباعهم شهواتهم، ونوعهم في الفتنة، وازديادهم إثمًا؛ أو لنعذبهم في كفران النعمة ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه ﴿يَسْلُكْهُ﴾ وقرئ بالنون مضمومة ومفتوحة، أي: ندخله ﴿عَذَابًا﴾ والأصل: نسلكه في عذاب، كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [المدثر: ٤٢] فعدّى إلى مفعولين: إمّا بحذف الجار وإيصال الفعل، كقوله: ﴿واختار موسى قومه﴾ [الأعراف: ١٥٥] وإمّا بتضمينه معنى «ندخله» يقال: سلكه وأسلكه/ ٢/ ٢٣٩ب؛ قال [من البسيط]:

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ[1] . . . . . .

---

(١) قوله: «إذا أسلكوهم في قتائدة» في الصحاح: «قتائدة» اسم عقبة. قال عبد مناف بن ربع:

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا

والشل: الطرد. والشرد: جمع شارد، كالخدم جمع خادم. (ع)

وهو لعبد مناف بن ربع الهذليّ في الأزهية ص ٢٠٣، ٢٥٠، والإنصاف ٢/ ٤٦١، وجمهرة اللغة ص ٨٥٤، وخزانة الأدب ٧/ ٣٩، ٤١، ٤٦، ٧١، والدرر ٣/ ١٠٤، وشرح أشعار الهذليين ٢/ ٦٧٥، وشرح شواهد الإيضاح ص ٤٣١، ولسان العرب (شرد)، (قتد)، (سلك)، ١٥/ ٤٣١ (إذا)، ومراتب النحويين ص ٨٥، ولابن أحمر في ملحق ديوانه ص ١٧٩، ولسان العرب (حمر)، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٤٣٤، والأشباه والنظائر ٥/ ٢٥، وأمالي المرتضى ١/ ٣، وجمهرة اللغة ص ٣٩٠، ٤٩١، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٩، وهمع الهوامع ١/ ٢٠٧.

والصعد: مصدر صعد، يقال: صعد صعدًا وصعودًا، فوصف به العذاب، لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه. ومنه قول عمر رضي الله عنه: ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح(١٦٦٦)، يريد: ما شق علي ولا غلبني.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ من جملة الموحى. وقيل معناه: ولأن المساجد ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟﴾ على أنّ اللام متعلقة بلا تدعوا، أي: فلا تدعوا ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ في المساجد، لأنها لله خاصة ولعبادته. وعن الحسن: يعني الأرض كلها؛ لأنها جعلت للنبي ﷺ مسجدًا. وقيل: المراد بها المسجد الحرام، لأنه قبلة المساجد. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٤] وعن قتادة: كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله، فأمرنا أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد. وقيل: المساجد أعضاء السجود السبعة. قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة آراب: وهي الجبهة، والأنف، واليدان، والركبتان، والقدمان» (١٦٦٧) وقيل: هي جمع مسجد وهو السجود.

١٦٦٦ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٠) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام وإبراهيم الحربي في غريبيهما من حديث حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عمر أنه قال: ما تصعدني شيء..... إلى آخره.
قال أبو عبيد: ومعناه أي: ما شق عليّ وكل شيء فعلته بمشقة فقد تصعدك قال تعالى ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾. قال: وأرى أن أصل هذا من الصعود وهي العقبة المنكرة قال تعالى ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ انتهى كلامه.
وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه أبو عبيدة في الغريب من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عمر بهذا وهو منقطع انتهى.

١٦٦٧ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٣): لم يروه بهذا اللفظ فيما وجدته إلا البزار في مسنده من حديث العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أسجد على سبعة آراب.... «فذكرها إلا أنه قال: «الوجه عوض: الجبهة والأنف» وهو أولى لاستقامة العدد قال البزار: وقد روى هذا الحديث سعد وابن عباس وأبو هريرة وغيرهم لا نعلم أحدًا قال: الآراب إلا العباس ا. هـ.
وأخرج مسلم (٢/ ٣٨٣ ـ الأبي) كتاب الصلاة: باب أعضاء السجود حديث (٤٩١) وأبو داود (١/ ٢٣٥) كتاب الصلاة: باب أعضاء السجود حديث (٨٩١) والترمذي (٢/ ٦١) كتاب الصلاة: باب ما جاء في السجود على سبعة أعضاء حديث (٢٧٢) والنسائي (٢/ ٢٠٨) كتاب الافتتاح: باب تفسير ذلك وابن ماجه (١) كتاب الصلاة: باب السجود حديث (٨٨٥) وأحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٨) كلهم من طريق عامر بن سعد عن العباس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب ولفظ مسلم: سبعة أعضاء.
وأخرج أبو داود (١/ ٢٣٥) كتاب الصلاة: باب أعضاء السجود: حديث (٨٩٠) من طريق عمرو بن =

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ النبي ﷺ. فإن قلت: هلا قيل: رسول الله أو النبي؟ قلت: لأن تقديره: وأوحي إليَّ أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعًا في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه: جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو لأن المعنى أن عبادة عبد الله لله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر، حتى يكونوا عليه لبدًا. ومعنى (قام يدعوه) قام يعبده، يريد: قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا لقراءته ﷺ ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ أي يزدحمون عليه متراكمين تعجبًا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائمًا وراكعًا وساجدًا، وإعجابًا بما تلا من القرآن، لأنهم رأوا ما لم يروا مثله، وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره. وقيل معناه: لما قام رسولاً يعبد الله وحده مخالفًا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه: كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين ﴿لِبَدًا﴾ جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض، ومنه «لبدة الأسد» وقرئ: لبدا واللبدة في معنى اللبدة؛ ولبدا: جمع لابد، كساجد وسجد ولبدا بضمتين: جمع لبود، كصبور

= دينار عن طاوس عن ابن عباس قال: أمرت ـ وربما قال: أمر نبيكم ﷺ أن يسجد على سبعة آراب.

وقد ورد الحديث عن ابن عباس بلفظ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء».
أخرجه البخاري (٢/ ٢٩٧): كتاب الأذان: باب السجود على الأنف، الحديث (٨١٢)، و (٢/ ٢٩٩) كتاب الأذان: باب لا يكف شعرًا، الحديث (٨١٥) و (٨١٦)، ومسلم (١/ ٣٥٤): كتاب الصلاة: باب أعضاء السجود، الحديث (٢٣٠)، وأبو داود (١/ ٢٩٨): كتاب الصلاة: باب أعضاء السجود (٨٨٩)، والنسائي (٢/ ٢٠٨): كتاب الافتتاح: باب على كم يسجد، والترمذي (٢/ ٦٢): كتاب الصلاة: باب ما جاء في السجود على سبعة أعضاء، وابن ماجه (١/ ٣٣١): كتاب إقامة الصلاة: باب كف الشعر والثوب في الصلاة (١٠٤٠)، والشافعي في «الأم» (١/ ١١٣)، والحميدي (٤٩٣)، وأحمد (١/ ٢٧٠)، والدارمي (١/ ٣٠٢) كتاب الصلاة: باب السجود على سبعة أعضاء، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٥٦)، والبيهقي (٢/ ١٠٣)، وعبد الرزاق (٢٩٧٠) وابن خزيمة (٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦): وابن حبان (١٩١٤ ـ ١٩١٥ ـ ١٩١٦)، وأبو يعلى (٤/ ٢٧٧)، رقم (٢٣٨٩)، والطبراني في «الصغير» (١/ ٣٦)، وفي «الكبير» (١١/ ٢٣). وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٤) من طرق عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة، وأشار بيده إلى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين، ولا نكفت الثياب والشعر»، وله ألفاظ في «الصحيحين» وغيرهما.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه البزار من حديث العباس بهذا اللفظ، لكن قال «الوجه عوض الجبهة والأنف» ورواه الأربعة في السنن من حديث بلفظ «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب: وجهه وكفاه وقدماه وركبتاه» وفي الصحيحين عن ابن عباس مرفوعًا «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم» وفي لفظ «أعضاء» وعند أبي داود «أمرت» وقال «أمر نبيكم ﷺ أن يسجد على سبعة آراب».

وصبر وعن قتادة: تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناوأه. ومن قرأ: وإنه، بالكسر: جعله من كلام الجن: قالوه لقومهم حين رجعوا إليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام أصحابه عليه في ائتمامهم به.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾

(قال) للمتظاهرين عليه[1] ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾ يريد: ما أتيتكم بأمر منكر، إنما أعبد ربي وحده ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ وليس ذاك مما يوجب إطباقكم على مقتي وعداوتي. أو قال للجن عند ازدحامهم متعجبين: ليس ما ترون من عبادتي الله ورفضي الإشراك به بأمر يتعجب منه، إنما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكًا. أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله ﷺ ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ ولا نفعًا، أو أراد بالضر: الغيّ، ويدل عليه قراءة أبيّ «غيًا ولا رشدًا» والمعنى: لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم، إنما الضارّ والنافع الله[2]. أو لا أستطيع أن أقسركم على الغيّ والرشد، إنما القادر على ذلك الله عز وجل:

---

(١) قوله: «قال للمتظاهرين عليه» هذه قراءة غير عاصم وحمزة، كذا في النسفي، وهو يفيد أن قراءتهما (قل) بصيغة الأمر، كأنه سقط من كلام المصنف ذكر هذه القراءة فليحرر.

(٢) قال محمود: «معناه أي لا أستطيع أن أنفعكم أو أضركم إنما النافع والضار الله عز وجل... إلخ» قال أحمد: في الآية دليل بين على أن الله تعالى هو الذي يملك لعباده الرشد والغي أي يخلقهما لا غير، فإن النبي ﷺ إنما سلب ذلك عن قدرته ليمحض إضافته إلى قدرة الله وحده، وفطن الزمخشري لذلك فأخذ يعمل الحيل، فتارة يحمل الرشد على مطلق النفع، فيضيف ذلك إلى الله تعالى، وتارة يكنع عنه لأن فيه إبطالاً لخصوصية الرشد المنصوص عليه في الآية، فيثور له من تقليده الرأي الفاسد ثوائر تصرفه عن الحق وعن اعتقاد أن الله تعالى هو الذي يخلق الرشد لعبيده مقارنًا لاختيارهم، فيدخل زيادة القسر؛ لأن معنى ما ورد من إضافة الرشد إلى قدرة الله تعالى عندهم أنه يخلق أن يخضع لها الرقاب، فيخلق العبد لنفسه عند ظهورها رشدًا. فيضاف إلى قدرة الله تعالى؛ لأنه خلق السبب وهو في الحقيقة مخلوق بقدرة العبد «هذه قاعدة القدرية وعقيدتهم؛ وما الجن بعد هذا إلا أوفر منهم عقلاً وأسد منهم نظرًا؛ لأنهم قالوا: وأنا لا ندري أشر أريد بمن =

و﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استثناء منه. أي لا أملك إلا بلاغًا من الله[1] و﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾ جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه[2] وبيان عجزه، على معنى أنّ الله إن أراد به سوءًا من مرض أو موت أو غيرهما: لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوي إليه، والملتحد: الملتجأ، وأصله المدَّخل، من اللحد. وقيل: محيصًا ومعدلاً وقرئ: قال لا أملك، أي قال عبد الله للمشركين أو للجن. ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم. وقيل: (بلاغًا) بدل من ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به. وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هي «إن لا» ومعناه: أن لا أبلغ بلاغًا كقولك: إن لا قيامًا فقعودًا ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطف على بلاغًا، كأنه قيل: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات. والمعنى: إلا أن أبلغ عن الله فأقول: قال الله كذا، ناسبًا لقوله إليه، وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان. فإن قلت: ألا يقال: بلغ عنه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام. «بلغوا عني بلغوا عني»؟(١٦٦٨) قلت: من ليست بصلة للتبليغ، إنما هي بمنزلة من في قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١] بمعنى بلاغًا كائنٌ من الله. وقرئ: فأن له نار جهنم، على: فجزاؤه أنّ له نار جهنم كقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١] أي/ ٢/ ١٤٠أ: فحكمه أنّ لله خمسه. وقال: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حملا على معنى الجمع في من. فإن قلت: بم تعلق «حتى»، وجعل ما بعده غاية له؟ قلت: بقوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة، ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ من يوم بدر وإظهار الله له عليهم. أو من يوم القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ أنهم ﴿أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت

١٦٦٨ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٥٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل حديث (٣٤٦١) والترمذي (٥/ ٣٩) كتاب العلم: باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل حديث (٢٦٦٩) من طريق أبي كبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ بلغوا عني ولو آيه. . . . . الحديث.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ: بلغوا عني ولو آية. . . . الحديث انتهى.

= في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا، فأضافوا الرشد نفسه إلى إرادة الله عز وجل وقدرته.

(١) قال محمود: «هو اعتراض. وقوله: (إلا بلاغًا) استثناء من قوله: (لا أملك) أي لا أملك لكم إلا بلاغًا. وقيل بلاغًا بدل من ملتحدًا. . . إلخ» قال أحمد: فيكون تقدير الكلام: بلاغًا من الله مستفادًا من قوله: (قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وفيه بعد لطول الفصل بينهما، قلت: وأين الطول؟ قد وقع الفصل بأكثر من هذا فالاستثناء منقطع. انتهى. الدر المصون.

عليه الحال: من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده، كأنه قال: لا يزالون على ما هم عليه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ قال المشركون: متى يكون هذا الموعود؟ إنكارًا له، فقيل ﴿قُلْ﴾ إنه كائن لا ريب فيه[1]، فلا تنكروه؛ فإن الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد. وأما وقته فما أدري متى يكون؛ لأنّ الله لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ والأمد يكون قريبًا وبعيدًا ألا ترى إلى قوله: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]؟ قلت: كان رسول الله ﷺ يستقرب الموعد، فكأنه قال: ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية أي: هو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ﴾ فلا يطلع و﴿مِن رَّسُولٍ﴾ تبيين لمن ارتضى، يعني: أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة، لا كل مرتضى. وفي هذا إبطال للكرامات[2]؛ لأنّ الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين، فليسوا برسل[3]. وقد خصّ الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم، لأنّ أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ يدي من ارتضى للرسالة ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: قوله: بم تعلق؟ إن عنى تعلق حرف الجر فليس بصحيح؛ لأنها حرف ابتداء. فما بعدها ليس في موضع جر خلافًا للزجاج، وابن درستويه فإنهما زعما: أنها إذا كانت حرف ابتداء فالجملة الابتدائية بعدها في موضع جر. وإن عنى بالتعلق اتصال ما بعدها بما قبلها، وكون ما بعدها غاية لما قبلها. فهو صحيح، وأمّا تقديره أنها تتعلق بقوله: «يكونون عليه لبدا» فهو بعيد جدًا. لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة. وقدر بعضهم ذلك المحذوف المعنى فقال: تقديره: دعهم حتى إذا، وقال التبريزي: جاز أن يكون غاية لمحذوف ولم يبين ما هو.
وقال الشيخ: والذي يظهر أنها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم، كأنه قيل: إن العاصي يحكم له بكينونة النار، والحكم بذلك هو وعيد. حتى إذا رأوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون، قوله: «من أضعف» يجوز في «مَنْ» أن تكون استفهامية فترتفع بالابتداء، و«أضعف» خبره، والجملة في موضع نصب سادة مسد المفعولين لأنها معلقة للعلم قبلها، وأن تكون: موصولة و«أضعف» خبر مبتدأ مضمر. أي هو أضعف والجملة صلة وعائد، وحسن الحذف طول الصلة بالتمييز، والموصول مفعول للعلم بمعنى العرفان. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «وفي هذا إبطال للكرامات» إبطالها مذهب المعتزلة؛ وإثباتها مذهب أهل السنة، وهي لا تنحصر في الإخبار بالغيب. (ع)

(٣) قال محمود: «إبطال للكرامات، لأنه حصر ذلك في المرتضى من الرسل، والولي وإن كان من المرتضين... إلخ» قال أحمد: ادعى عامًا واستدل خاصًا، فإن دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها، والمدلول عليه بالآية إبطال اطلاع الولي على الغيب خاصة، ولا يكون كرامة وخارق للعادة إلا الإطلاع على الغيب لا غير، وما القدرية إلا ولهم شبهة في إبطالها، وذلك أن الله عز وجل لا يتخذ منهم وليًا أبدًا وهم لم يحدثوا بذلك عن أشياعهم قط، فلا جرم أنهم يستمرون على الإنكار ولا يعلمون أن شرط الكرامة الولاية، وهي مسلوبة عنهم اتفاقًا وأما سلب الإيمان فمسألة خلاف، فما أطمع من يكون إيمانه مسألة خلاف وهو يريد الكرامة لأنه لم يؤتها والله الموفق.

ويعصمونه من وساوسهم وتحاليطهم، حتى يبلغ ما أوحي به إليه. وعن الضحاك: ما بعث نبيّ إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك ﴿لِيَعْلَمَ﴾ الله ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ يعني الأنبياء: وحد أولا على اللفظ في قوله: (من بين يديه ومن خلفه. ثم جمع على المعنى، كقوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ [الجن: ٢٣]، والمعنى: ليبلغوا رسالات ربهم كما هي، محروسة من الزيادة والنقصان؛ وذكر العلم كذكره في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١]، وقرئ: «ليعلم» على البناء للمفعول ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عند الرسل من الحكم والشرائع، لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفًا، فهو مهيمن عليها حافظ لها ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾ من القطر والرمل وورق الأشجار، وزبد البحار، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددًا: حال، أي: وضبط كل شيء معدودًا محصورًا. أو مصدر في معنى إحصاء.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنيّ صدق محمدًا ﷺ وكذب به عتق رقبة» (١٦٦٩).

١٦٦٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب انتهى.

obeikandl.com